

وبإلغاء النبي ﷺ كل الحسابات والاعتبارات الاجتماعية يكون قد قرّر مبدأ من مبادئ العدالة القانونية في الإسلام، وقد سار عليه الخلفاء من بعده.

الفرق بين العدل والمساواة:

العدل يعني أن يعطى كل حقه الذي يستحقه، لكن المساواة تعني تقسيم الشيء على كل الأطراف بالتساوي دون النظر إلى الحق.

بمعنى أن المساواة قد يكون فيها ظلم للبعض أحياناً.

— كأن يقوم المعلم بإعطاء علامات متساوية لجميع الطلاب في الامتحان بغض النظر عن الجهد المبذول من الطلاب أو المستوى الدراسي الحقيقي لهم، فهذا يكون قد حقق المساواة لكنه كان ظالماً للطلاب المتفوقين ولم يحقق العدل.

— والمساواة بين الرجل والمرأة في كل أمور الحياة تقسم بينهم كل الوظائف والأدوار لكنها قد لا تحقق العدالة في كثير من الأحوال؛ لأن الله قد ميز الرجل عن المرأة بأمر خاص لا تستطيع المرأة القيام بها مثله، كما ميز المرأة بالحمل والإنجاب والتربية وتنظيم أمور المنزل. فتساوي الأمور بينهما في كل شيء لا يحقق العدالة.

والمساواة في هذه الوحدة هي بمعنى العدل نفسه.

فبالمساواة في تطبيق الحدود على الجميع دون النظر إلى الجنس أو المكانة الاجتماعية أو نحوهما يتحقق العدل.

* 2. أثر المساواة في المحافظة على تماسك المجتمع *

— تؤدي المساواة إلى اطمئنان الناس وارتياحهم.

— ينقيد الناس بالقانون ويعينون على تنفيذه.

— المساواة تؤدي إلى تقوية بنية المجتمع، وتمتين العلاقة بين أفرادها، مما ينعكس على سلامته.

— إذا كانت الشفاعة في الأحكام سبباً لهلاك المجتمعات، فإن المساواة سبب لاستمرارها ودوامها وعدم موتها.

* 3. معنى الشفاعة في الحدود *

الشفاعة في الحدود هي: «التوسط لإسقاط حد من حدود الله».

* 4. حكم الشفاعة في الحدود *

— أفاد الحديث تحريم الشفاعة في حد من حدود الله بعد بلوغه إلى الحاكم (أو نائبه أي القاضي)؛ لأنه صار حقاً لله -تعالى-، أي حقاً عاماً، وهو ما قصد به التقرب إلى الله -تعالى- وتعظيمه وإقامة شعائره، أو تحقيق النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد من الناس.

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «إن قريشاً أتهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها». أخرجه البخاري ومسلم.

* أولاً - التعريف بالصحابية راوية الحديث *

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنها- زوج رسول الله ﷺ، كانت من أعلم النساء وأفقههن، ومن أكثر الناس رواية لحديث النبي ﷺ حيث روي لها 2210 حديثاً. توفي عنها رسول الله ﷺ وهي ابنة 18 سنة، وتوفيت سنة 57 هـ، وصلى عليها أبو هريرة -رضي الله عنه-.

* ثانياً - شرح المفردات *

أتهمهم: أقلقهم وجلب إليهم الهم.

يجترئ: يتقدم ليشفع.

حب: بكسر الحاء، أي محبوب.

اختطب: أي: خطب خطبة بليغة.

وأيم الله: عبارة تدل على القسم والحلف.

* ثالثاً - المعنى الإجمالي للحديث *

الحديث يعالج مسألة مهمة تؤرق واضعي القوانين الوضعيّة، وهي مسألة التمييز في تطبيق الأحكام والقانون، فقد فصل الإسلام في هذه المسألة، وبيّن أن للقانون قداسة لم يتعدّها حتى رسول الله ﷺ قنوة المسلمين، فهم سواسية في الحقوق والواجبات.

* رابعاً - الإيضاح والتحليل *

* 1. معنى المساواة *

المساواة هي: «عدم التفريق بين الأغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء في تطبيق الأحكام والحدود».

وبهذا يتبيّن أن التسوية بين البشر في المفهوم الإسلامي تعني التسوية بينهم في حقوق الكيان الإنساني، الذي يتساوى فيه كل الناس.

1. تحريم السرقة وبيان عقوبتها. (حكم)
2. القضاء على الفوارق الطبقيّة والتّمييز العنصريّ والمحاباة في الحدود. (فائدة)
3. تحريم الشّفاعّة في الحدود بعد وصولها إلى الحاكم. (حكم)
4. وجوب إقامة حدود الله وحرمة تعطيلها. (حكم)
5. تعطيل حدود الله يؤدي إلى شيوع الجريمة والفساد في الأرض. (فائدة)
6. الاعتبار بأحوال الأمم السّابقة. (فائدة)

والسّعي لترك واجب أمر بالمنكر، وهو من التّعاون على الإثم والعدوان. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوُزْ أَعْلَ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: من الآية 2]

فلا يجوز التّوسّط بأي حال من الأحوال لإلغاء هذه العقوبة. وللشفيع في هذا كفل من الإثم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّكَ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: 85]

وقال ﷺ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِّنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ».

— أمّا قبل الوصول إلى الحاكم (أو نائبه أي القاضي) فتجوز الشّفاعّة عند الرّافع له إلى الحاكم ليطلقه؛ لأنّ وجوب الحدّ قبل ذلك لم يثبت. فالوجوب لا يثبت بمجرد الفعل. وهذه شفاعّة محمودة.

قال رسول الله ﷺ: «تَعَاوُزُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجِبَ» رواه أبو داود والنسائي.

إلا إذا كان الشّخص معروفاً بكثرة جرائمه وشرّه وأذاه للنّاس فلا تجوز الشّفاعّة له مطلقاً؛ لأنّها إعانة له على الفساد والتّعاون على الإثم والعدوان.

* 5. آثار الشّفاعّة في الحدود *

- بيّن الحديث الشّريف أنّ الشّفاعّة في الحدود بعد وصولها إلى الحاكم لها آثار سلبيّة، وذكر منها:
- أنّها كانت سبباً لهلاك الأمم السّابقة.
 - ومن آثارها:
 - تشجيع أصحاب النفوذ على التّخلّص من العقاب.
 - انتشار الجريمة في المجتمع.
 - إسقاط العدالة والقانون.
 - ظهور الطبقيّة في المجتمع.
 - حلول غضب الله -تعالى-.
 - انعدام النّقة بين الحاكم والمحكوم.
 - ضياع حقوق الضّعفاء.
 - انتشار الفوضى وعموم الفساد.
 - محاربة الله ورسوله.
 - الإخلال بالنّظام العامّ.

